❖ خاتمـة:

بوصول الباحث إلى الخاتمة يكون قد طوى صفحات هذا البحث ولكن الخاتمة ليست نهاية لفكرته، وإنما هي نتائج خوض في فكرة معينة شغلت بال الباحث، وبلورة لمفهومها وتوضيح لمدى أهميتها في ميدان الموضوع المدروس، وكانت من أهم النتائج التي احتوت عليها صفحات البحث ما يلـي :

- أن الآداب أينما كانت وحيثما وجدت تقوم على علاقة التأثر والتأثير ببعضها البعض ويعود ذلك إلى وحدة الجوهر الإنساني، وتشابه العواطف والأفكار رغم اختلاف الزمان والمكان، فليس هناك نص يكتب بمعزل عما كتب سابقا، لكن لا بد من حتمية "التناص" للنصوص جميعا، فلكل نص مواده الأولية والتي استقاها من رفات نصوص أخرى سابقة على مستويات التشكل والانبناء، أو على مستويات الموضوعات والأفكار،فالإبداع الحقيقي مغامرة وإبحار، بل غوص في الأعماق السحيقة للغة واستخراج اللآلئ والأصداف. -
وأن الرواية المعاصرة باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر ذيوعا وتصدرا للآداب العالمية لم تعد تعترف بصرامة القواعد الكلاسيكية المحددة لجنسها، وذلك من منطلق اعتمادها على هوية خاصة بها، تمنحها القوة المستمدة من حريتها المطلقة وتطبعها بسمة متفردة لا توجد فـي غيرها من الأجناس الأخرى .

- أنها سمة استثمارها لجل قواعد وتقنيات الكتابة الأدبية وغير الأدبية، الأمر الذي يجعلها مطالبة بالانفتاح على المعارف والثقافات الإنسانية متخطية بذلك الحدود العرقية والمكانية. -
وإذا كانت الرواية بهذه القوة مدينة لتقنيات الكتابة فإن "التناص" يعد أبرزها ليس منظورا إليه كتقنية فحسب، وإنما كحقل معرفي جعل من الرواية تفيد من كل مقولات الخطاب النقدي، محققة بذلك ذاتها التي تجعلها في تصالح مستمر ودائم مع القارئ، لكون "التناص" جعل منها نصا لا يعترف بأية أبوة، بل يقر صراحة بتعدد الانتماءات التـي تظهر فـي الحضور الفعال لمجموع النصوص الغائبة فيها .

- أن تصنيف هذه النصوص المتقاطعة مع النص الروائي يثير مسألة الالتقاء أو الاختلاف حول العناصر التي تمنحه الخصوصية، فهي دليل قاطع على أصالته إذا كانت سابقة عنه تشكل مرجعيته التي يستند عليها، أما إذا كانت هذه النصوص معاصرة أو سابقة له وتختلف عنه، فهـي دليل علـى معاصرته وكذا انفتاحه وطابعه الإنسانـي .

- أن "التناص" مفهوم تطور وتوسع، ولم يعد تداخلا بين نصوص مختلفة فحسب، بل امتد مع "كرستيفا" و"جيرارجينيت" و"محمد مفتاح" و"محمد بنيس" وغيرهم من رواد النقد الحديث إلـى أنواع وصيغ وفنـون أدبية وغير أدبية .

- تتداخل النصوص التي يستحضرها الكتاب والأدباء فيتمظهر النص الغائب في النص الحاضر وفق ما تيسر للكاتب من معارف تراثية، فيتفاعل معها ضمن أبعاد دينية أو أدبية أو أسطورية، و يتمظهر النص الغائب في النص الحاضر وفق طرق عديدة فقد يتمظهر من خلال السياق الذي قد يكون سياقا أدبيا أو غير أدبي، وقد تتداخل هذه السياقات المختلفة في النص الواحد مما يستدعي من المتلقي معرفة جيدة بهذه السياقات المتعددة . كما يتمظهر

"التناص" أيضا من خلال المتلقي، فإذا كان الكاتب قارئا من الطراز الأول لنصوص الآخرين قبل أن يكون منتجا للنصوص، فإن القارئ التناصي لا بد أن يكون من نموذجه في التكوين الثقافي والإحساس الجمالي .

-أن التناص يمنح النص الروائي خاصية إنتاجية مميزة، فهو ينتج بطريقتين طريقة الروائي المتمثلة في النص الموجود بين يدي القارئ وطريقة أخرى يعيد بها القارئ إنتاج هذا النص من خلال الاعتماد على ثقافته الخاصة، وكذلك إعادة قراءة المادة المعرفية التي يتضمنها النص الروائي،فتكتسب بذلك النصوص الغائبة استمرارية وحيوية جديدة ويصبح القارئ منتجا للنص ومشاركا في العملية الإبداعية بعد أن كان مستهلكا فقط، ضف إلى ذلك أن القارئ لجنس الرواية يجد فيها فضاءات أرحب يستطيع عبرها أن يطرح قناعاته وتوجهاته،حتى في الموضوعات التي كانت تشكل بالنسبة إليه خطا أحمر، فتتلاقح وجهات نظره مع وجهة نظر الصوت الروائي أو مع الأصوات الأخرى التي تشاركه نصه .

- أن الرواية التونسية قد تمكنت كغيرها من الروايات المغاربية من تحقيق مكانة مرموقة داخل الفضاءين العربي والمغاربي، بل اكتسبت مكانة بين الروايات العالمية، وتعددت متعة قراءتها بتعدد العالم الروائي أسلوبا وسردا وأحداثا .

- أما إذا حاول الباحث تمثل هذه الخصائص في رواية "المعجزة" يجد أن الروائي "محمود طرشونة" قد سعى جاهدا لأن تكون الخصائص السالفة الذكر حاضرة في نصه، ذلك أن اعتماده على عنصر "التناص" جعل من روايته نصا يتجاوز الحدود الضيقة ويتجاوز موضوعها الخارق .

- أن رواية "المعجزة" لم تفرض على نفسها التقيد بكل ما هو محلي وخاص، بل حاولت ربط العديد من الجسور مع نصوص أخرى، منها ما يتقاطع معها لغة وثقافة، وأخرى تختلف معها فكرا وثقافة، فغدت بذلك نصا أصيلا تجلت أصالته في الحيز الذي شغله التراث العربي الإسلامي مجسدا في النصوص الغائبة التي عبرت عن العديد من الموضوعات في الأدب والدين...وغيرها مما أكسبها ثراء التجربة من خلال قدرة الروائي على استيعاب مختلف الثقافات وتوظيفها لتعبر-وبصدق- عن تجربة إنسانية تتخطى حدودها وحدود صاحبها .

-أن هذه التجربة الروائية "لمحمود طرشونة" تمنح القارئ متعة ولذة تتجلى في رحلته عبر الرواية متصفحا، ومطلعا على ما تزخر به هذه الثقافات وفي الوقت ذاته يجد فيها وسطا معرفيا خصبا، ينمي فيه دائما ضائقة الحيرة المعرفية ويمنحه هامشا من الحرية يستطيع من خلاله التعبير عن مواقفه .

- أن اللغة عند "محمود طرشونة" هي التي تصف الموضوعات التي لم تعد تشكل عنده الأهداف التي يرصدها في فعله الإبداعي، فأصبحت اللغة هي التي تتحدث عنها فهي الهدف الرئيسي في عملية الكتابة، ذلك أنه كاتب دائم التجريب مستمر النحت، تشكل اللغة في عمله المادة الخام، وعماد هذا النحت يقوم على احتمالات التشكيل التي تفضي إلى المفاجأة التي يحدثها خروج اللغة عن رتابتها المعهودة واستعمالها المألوف .

- وأن حدوث هذا الخروج لا يتأتى إلا بالاعتماد على الانزياحات والاستعارات التي تجعل اللغة تستنفذ أقصى ما تملك من دلالات إيحائية في التعبير عن الأشياء، وهذا ما يمنحها سمة الشعرية التي ساعدت الأديب على صهر القطع المختلفة للأجناس المختلفة في قطعة كبرى هي "المعجزة" .

- أن تفاعل القارئ مع رواية "المعجزة" لا يظهر من خلال ترك فراغات يجب استكمالها لأن هذا إذا صلح مع قارئ يجهل أحداث الرواية قد لا يصلح مع قارئ آخر له خلفية معرفية، ولكن اعتمد الكاتب في جذب انتباه القارئ على إحداثيات اشتغل عليها من منظور شكل الرواية ويظهر ذلك من خلال:

- تكسير البنية التقليدية للخطاب الروائي، وذلك بالتخلي عن مسارات السرد الخطي وتعدد مستويات اللغة التـي تحرر من قيـود النظرة التقليدية .

- تعددية الأصوات التي مفادها أن الرواية لا تظهر فقط وعي المؤلف في عالم وحيد إنما تظهر أنواع الوعي الأخرى لدى الشخصيات من خلال إعطائها وظيفة السرد، فترى القارئ لا يعرف الراوي الحقيقي أو الروائي من الشخصية المشاركة إلا بإعمال الفكر والمتابعة وذلك يعود إلى كون الرواية جنسا مرنا قادرا على امتصاص عدة أجناس أدبية تتخلل السرد .

- أما عن طرق توظيف "محمود طرشونة" للنصوص الغائبة فهو تارة يعيد كتابة النص الغائب بطريقة اجترارية صامتة، وتارة بطريقة امتصاصية تأخذ من النص الغائب بقدر ما يهمه التجديد ومواصلة الإبداع في النص الحاضر، وتارة أخرى يوظفه بطريقة حوارية راقية علـى هدم النص الغائب وإنتاج نص جديد علـى أنقاضه .

- أن من الوظائف الجمالية التي ينهض عليها "التناص" في نص "المعجزة" أن الكاتب يستحضر النصوص بكيفيات فنية وإبداعية في نصه الجديد ليمنحه كثافة وجدانية ودلالية .

- أن "محمود طرشونة" قد وظف "التناص" الأدبي في رواية "المعجزة" من أجل تنشيط ذاكرة القارئ الخازنة للنصوص الأخرى، وذلك لحثه على استحضار علاقات تناصية مع نص الرواية، ومن ثم توجيهه لقراءة تلك النصوص إلى جانب قراءته للنص الروائي وبهذا يسهم مثل هذا النوع من "التناص" فـي بناء القارئ معرفيا .

-أنه وظف معرفته بالأدب العالمي والمختزنة في اللاشعور داخل نصه الروائي من خلال "التناص" مع أساطير "ألف ليلة وليلة" لتقوم روايتها بدورها الثقافي فـي شبه الموسوعي .

- أن العلاقات التناصية مع الأساليب الشعرية جاءت في مجملها منسجمة مع سياق الحدث الروائي ومع نفسية الشخصيات الروائية، حيث عبرت من خلالها عن آرائها فكان تعزيز سلطة المقول الروائـي بمقول شعري كجزء من البنية الروائية .

- أما على مستوى "التناص الديني" فلقد أظهرت العلاقات التناصية التي استحضرها الباحث قدرة الروائي على استنطاق النص الديني المقتبس عبر تفجير طاقته الكامنة وامتصاصها

وإخراجها على شكل تراكيب لغوية ضمن سياقات شعورية ونفسية وفكرية جديدة، تتسق مع الأغراض والدوافع التي حفزت الروائي إلى هذه التناصات الصريحة أو المضمرة .

هكذا خلص الباحث إلى أن رواية "المعجزة" هي إضافة نوعية في مسار الحركة الروائية التونسية، وهي كذلك إسهام متميز في تجربة الكتابة لدى "محمود طرشونة" يعبر عن مدى امتلاكه لأدواته الخاصة التي تجعل منه اسما روائيا متميزا، خاض غمار التجريب الذي أتاح له تأسيس نفسه ضمن قوانين "التناص"، فهو لم يكن ذاتا مستقلة أو مادة موحدة بل كانت سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى قادمة ومقتبسة من أجناس أخرى، لكل جنس نظامه وبنيته وشفراته الخاصة التي تختلف بها عن الآخر .